سنة ١٩١١

استرداد روح المعارضة . حول الرتب والنياشين لاعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . رحلتى للصعيد والسودان . الخطوة الثالثة فى اصلاح الازهر . رأى غورست والخديو فى المعارضة . المؤتمر القبطى . المؤتمر المصرى ومباحثه . حديث غورست والخديو عن المؤتمرين . سفر الخديو للاستانة وأوربا . وفاة رياض باشا رئيس المؤتمر المصرى . وفاة غورست وتعيين كتشنر . اتجاه السياسة الجديدة . الانعام علىّ بنيشان ايطالى . أعمالى فى ديوان الاوقاف . الابن الاكبر للسلطان رشاد فى مصر لتحية ملك انجلترا

استرداد روح المعارضة . كان مقتل المرحوم بطرس غالى باشا فى العام الماضى مظهراً من مظاهر التطرف والتهور فى المعارضة التى لم يجد فى إسكاتها بعث قانون المطبوعات القديم الذى أبطل العمل به أيام كرومر . فاشتدت الحملات الصحفية على الحكومة ولا سيما فى صحف الحزب الوطنى ، وكذلك صدر كتاب « وطنيتى » للشيخ على الغاياتى حاوياً لكثير من الحض على الثورة وتمجيد أعمال المجرمين السياسيين .

ولما كان محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى قد كتب مقدمة لهذا الديوان ، فقد قدم للمحاكمة بتهمة تحسين جريمتى الوردانى ودنجرا الهندى ، اللذين أطراهما صاحب الديوان فى بعض مقطوعاته .

سجن محمد فريد بك : عقدت الجلسة لمحاكمته يوم ٢٣ يناير برياسة القاضى دلبروغلى الأرمنى وعضوية أحمد ذى الفقار بك وأمين بك على ، ومثل النيابة محمد توفيق نسيم بك رئيس نيابة الاستئناف ، وسئل فريد بك عن التهمة الموجهة إليه فقال

ما ملخصه : إن الكتاب ظهر وهو فى أوربا وأنه كتب المقدمة قبل سفره كمقالة يحبذ فيها الجهاد فى سبيل الأوطان وأنها تصلح مقالة مستقلة كما تصلح مقدمة لديوان .

وقد اعترضت عليه المحكمة بأنه قرأ معظم ما حواه الديوان منشوراً فى الصحف ، وبما أنه مطلع على القانون وفاهم للمسئولية فلا بد أن يكون قد عرف أن هذا القول مما يعاقب عليه القانون ، فرد عليها بأن هذا القول يعد عذراً له ، لأن سكوت الحكومة على المؤلف عقب نشره القصائد فى الصحف يعتبر رضا منها به ، ويبيح له تقريظه .

وبعد إتمام المناقشة ترافع رئيس النيابة ، ثم حكمت المحكمة على محمد فريد بك بالحبس البسيط لمدة ستة أشهر .

ولكن هذا الحكم لم يزد أعمال التهييج إلا شدة ، ولما قضى فريد بك مدة الحبس وخرج أقام له أعضاء الحزب الوطنى حفلة تكريم بفندق الكونتنتال بالرغم من أن هذا التكريم نفسه يحرمه القانون لأنه استحسان لجريمة .

المعارضة فى مجلس شورى القوانين : فى العام الماضى كان للجمعية العمومية موقف مشهود فى مسألة مد أجل قناة السويس ، دل على تنبه الأفكار ، وقوة روح المعارضة التى ظلت تنتهز كل فرصة لتطلب توسيع سلطة النواب ومنح الدستور للبلاد وعرض المسائل المالية .

وفى هذا العام تألفت جبهة معارضة فى مجلس شورى القوانين قوامها أعضاء حزب الأمة فى المجلس .

حول الرتب والنياشين لأعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية .

وقد اقترح أعضاء المعارضة إصدار قانون يقضى بعدم منح أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية رتباً أو نياشين ، وذلك منعاً لسوء الظن بهم ، وضماناً لاستقلالهم عن السلطة التنفيذية .

وقد كان هذا الاقتراح مثار ضجة كبيرة داخل المجلس وخارجه ، وانتهى بالرفض من الأغلبية .

تكريم المعارضين : وقد تألفت لجنة بعد ذلك لتكريم ممثلى المعارضة فى مجلس شورى القوانين ، وأقامت لهم حفلة فى فندق الكونتنتال يوم ١٠ أبريل وهم : محمود سليمان باشا وعلى شعراوى باشا ومرقس سميكة بك وفتح الله بركات بك وأحمد بك حبيب

وخطب فى الحفلة حسن عبد الرازق بك، وأحمد عبد اللطيف المحامى وابراهيم الهلباوى بك ويوسف شكور باشا وأحمد لطفى السيد بك . ورد عليهم مرقس سميكة بك .

تكريم الأغلبية : وقد كان الرد على هذا التكريم ، تكريماً آخر لأعضاء الأغلبية بفندق سافوى أوتيل يوم ١٥ أبريل برياسة حسن زايد باشا ، وخطب فى الحفلة الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وحسين هلال بك وحسن زايد باشا والسيد محمد رشيد رضا وموسى غالب باشا .

رحلتى للصعيد والسودان . فى مدينة الخرطوم مسجد قديم له أوقاف خاصة . وقد تهدم هذا المسجد فشرعت الحكومة السودانية فى إنشاء مسجد جديد ثم خابرت ديوان الأوقاف فى موضوع إتمام هذا المسجد على نفقته طالبة مدها بمبلغ ١٩٩٠٠ جنيه لهذا الغرض . لذلك وحيث إن أوقاف المسجد القديم قد اندثرت رأيت أن أسافر إلى الخرطوم لبحث هذه المسألة فى مكانها مع رجال الحكومة السودانية وحصلت على إذن سمو الخديو بهذا السفر .

ورأيت انتهاز هذه المناسبة للمرور على مأموريات الأوقاف ومزارعها ومساجدها ومدارسها بالوجه القبلى فجمعت كل اللازم من المعلومات عن المستخدمين وكفاءتهم من تقارير رؤسائهم المختلفين .

وقد بدأت رحلتى مساء يوم ١٥ يناير على باخرة نيلية وضعتها تحت تصرفى دائرة المرحوم على باشا فهمى مستصحباً السكرتير الخاص (محمد وجيه افندى) وباشمهندس الديوان (محمود فهمى باشا) وقد رافقتنى حرمى وصديقتنا مدام تقلا باشا ووصلت إلى بنى سويف فى اليوم التالى وزرت مسجدها ومأمورية الأوقاف بها ثم غادرتها إلى ببا فزرت مأموريتها وزراعتها وزراعة أبسوج وسدس فوجدت حالتها جيدة إلا أن المصارف كانت فى حاجة للتطهير فى زراعة ببا .

وفى ١٩ يناير وصلت بنى مزار فزرت مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية وتفقدت حالة التعليم بها ثم سافرت إلى المنيا فاستقبلنى بها مديرها ووكيلها و موظفو الأوقاف . وبدأت بزيارة مساجد المدينة وانتهيت بمسجد الامام الفولى حيث أديت فريضة العشاء ثم حضرت الدرس الدينى به .

وفى الصباح قصدت مأمورية الأوقاف ثم زرت المدير والقاضى الشرعى وشكرت لهما عنايتهما بمسائل الأوقاف .

وفى مساء ٢٢ منه وصلت إلى ملوى ، وفى صباح اليوم التالى زرت مساجدها وأطيان وقف فاضل باشا وتنوف والبورة ، وبعد الظهر زرت مأمورية الأوقاف ومكتبين تابعين لها .

وفى صباح ٢٤ منه قامت بنا الباخرة إلى أسيوط فاستقبلنى مديرها ابراهيم صبرى باشا ، وبعد الاستراحة توجهت إلى ديوان المديرية لرد الزيارة . كما زرت رؤساء المحكمتين الأهلية والشرعية والنيابة وشكرتهم على اهتمامهم بمسائل الأوقاف . ثم زرت مدرسة الصنائع وكان يديرها حضرة أمين بهجت بك والمدرسة الأميرية الابتدائية وهى تسكن فى دار تحت نظارة الأوقاف .

وفى المساء زرت المساجد الشهيرة ، وقد لاحظت عدم إقبال الأهالى على حضور الدروس الدينية إذ رأيت مدرساً فى أحد المساجد وليس أمامه إلا مستمع واحد !

وفى ٢٥ منه زرت مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية ومأمورية الأوقاف والمكاتب التابعة لها ثم زرت أعضاء قومسيون الأوقاف .

وفى ٢٦ منه سافرت بالباخرة إلى طهطا فوصلتها فى الساعة الرابعة بعد الظهر وزرت مساجدها ، وفى الصباح سافرت بالسكة الحديدية إلى سوهاج فاستقبلنى مديرها على ابو الفتوح بك والموظفون وأعيان المدينة . وبعد أن صليت الجمعة بمسجد الأستاذ العارف مررت على مساجد المدينة التابعة للأوقاف ، وحضرت الدرس الدينى فى المساء بمسجد العارف . وقد تناولت الغداء على مائدة المدير مع همام حمادى باشا وعبد الرحيم حمادى بك وأمين العارف بك . وزرت مدارس مجلس المديرية ودار المجلس . كما زرت كلا من همام باشا وعبد الرحيم حمادى بك فى منزليهما . وبعد أن زرت مدينة أخميم بارحت سوهاج إلى نجع حمادى فأقمت بها يوماً .

وفى ٢٩ منه سافرت إلى قنا فزرت مأمورية الأوقاف ؛ ومدير قنا محمد خليل نايل بك ورئيس المحكمة الشرعية (رداً لزيارتهما) وتناولت الغداء على مائدة المدير .

وفى المساء سافرت إلى قوص وزرت مسجدها الشهير وهو أكبر مساجد الوجه القبلى ووجدته فى حاجة إلى الترميم .

وفى ٣٠ منه وصلت إلى الأقصر وزرت آثارها كمقابر الخلفاء والدير البحرى ومدينة الكرنك ومعبد الأقصر ومسجد أبى الحجاج .

ثم سافرت إلى أسوان فوصلتها يوم ٣ فبراير . وفى المساء أبحرت بنا الباخرة من الشلال إلى وادى حلفا فوقفت فى صباح ٤ فبراير عند الفجر عند معبد أبى سنبل فتمكنت من زيارته وهو منحوت فى الجبل ، كبير الاتساع وواجهته شرقية بحيث يستقبل أشعة الشمس عند الشروق فتنتشر فى أرجائه وهذا من أروع المناظر . وبلغنا وادى حلفا بعد ظهر يوم ٥ منه فأخذنا القطار إلى الخرطوم فوصلناها عصر يوم ٦ فبراير .

وعندما وقف القطار فى أبى حمد حضر أحد كبار الضباط وسأل عنا وأبلغنا تحية الحاكم العام وترحيبه بنا واستفسر عن راحتنا فشكرنا له هذه العناية .

ولما بلغنا الخرطوم كان من مستقبلينا فضيلة قاضى قضاة السودان الأستاذ المراغى والضابط محمود حافظ رمضان افندى شقيق الأستاذ حافظ رمضان بك — موفداً لاستقبالنا من قبل الحاكم العام ومرافقتنا مدة إقامتنا بالخرطوم .

وقد نزلنا فى فندق (الجراند اوتيل) وكان به كثير من السائحين يملئون غرفه وهكذا نزل السكرتير والباشمهندس فى غرفة واحدة .

وبعد الاستراحة فى الفندق ذهبت فى الموعد الذى حدد لى لزيارة ونجت باشا فى سراى الحكومة فاستقبلنى بالترحاب وهو صديق قديم لى . وقد أبلغته سلام الخديو فسألنى عن سموه وأعرب عن شكره له ، كما أننى شكرته على اهتمامه بالسؤال عنى فى الطريق .

ثم تبادلنا الحديث فى موضوع سياحتى ومشاهداتى فى رحلتى وغير ذلك من الشئون ، وأبلغنى أنه على استعداد للأمر بعمل كل التسهيلات اللازمة لى مدة إقامتى . وقبل انصرافى قال لى إن قاعة الاستقبال هذه ينقصها صورة الخديو فوعدته بتبليغ ذلك مع التأكيد بأنها سترسل له عقب وصولى إلى القاهرة .

بعد ذلك ، وفى اليوم التالى ، بدأت بزيارة صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان فى دار المحكمة الشرعية فاستقبلنى بالحفاوة وأجلسنى بجانبه ؛ وكان هنالك أحد كبار الانجليز فعرفنى به وهو المستر كارتر السكرتير القضائى وأخذ مجلسه فى الجانب الآخر، وجاءت القهوة وكانت المنضدة الصغيرة أقرب لفضيلة الأستاذ من المستر كارتر فلما أراد المستر كارتر وضع فنجانه لم يتحرك الأستاذ المراغى بل أمر الخادم فى وقار بتقريب المنضدة ، فأكبرت هذا المظهر المشرف لفضيلته وأدركت أنه يقدر مكانته حقاً ويحافظ

على كرامته وكرامة الشرع ومن تلك اللحظة امتلأت نفسى بالميل إليه وزاد قدره فى نظرى .

وقد زرت بعد ذلك رؤساء المصالح مبتدئاً بالمستر كارتر وبناء على توصية الحاكم العام زرت كلية غوردون فاستقبلنى فيها مدير المعارف وهدايت بك ناظر الكلية ومفتش المعارف والأساتذة فطفنا حجر التدريس والمعمل الكيماوى ، وهى فى حالة بدائية .

وفى ٨ منه زرت القائمقام كندى بك مدير مصلحة الأشغال بالسودان وتحادثت معه فى شأن إتمام الجامع الذى زرته مع باشمهندس الديوان الذى تبين من المعاينة أن بعض الأعمال الداخلة فى المبلغ المطلوب لاتمام المسجد قد تمت بالفعل وبعضها لا لزوم له والآخر فى حاجة للتعديل .

وبعد المناقشة مع رجال الحكومة تم الاتفاق على عمل مقايسة جديدة بالمطلوب من الأعمال وأخذ الباشمهندس فى إعدادها على أساس دفتر أثمان البناء وأدواته لحكومة السودان وقد حصلنا عليه لتعمل بعد ذلك مناقصة ويعهد بالعمل إلى أحد المقاولين ، وقد خصص مهندس لمراقبة العمل ، وقد تم بناء المسجد على حساب الديوان .

أما مسألة الأوقاف فقد علمت من فضيلة الشيخ المراغى أنه قد بحثها مع الحاكم العام وتشكلت لها لجنة من فضيلته ومن بعض الضباط ، وانتهت بحصر أعيان وقف الجامع القديم الذى اتضح عدم وجود حجج لها ولا يعرف من شروطها شىء ولا يعرف على أى شىء هى موقوفة ، ولكن علم بالسماع وجود أوقاف وأنها كذا وكذا ، فحصل اتفاق على تسجيلها وعلى أن تكون للجامع وللشعائر الدينية واستبدال الأجزاء المأخوذة منها للمنفعة العامة بأراض جيدة فى المدينة بغير غبن على جهة الوقف ؛ لهذا فضلت عدم التكلم فى شأنها ، ولكننى بحثت مسألة النظر على هذه الأوقاف فعلمت أن فضيلته فضل أن يؤول إليه فى أول الأمر فاطمأنيت لذلك .

ولقد صادفت من حكومة السودان كل حفاوة وتسهيل لمهمتى ، وعلى الأخص من السردار ونجت باشا إذ أخطر كل الجهات التى زرتها للاحتفاء بى ودعانى للعشاء مع الجنرال هاملتون .

وقد صادف أثناء وجودى فى الخرطوم إقامة حفلة سنوية يقيمها الانجليز فدعيت إليها ، وقد لفت نظرى أنه لم يكن هناك مطربش غيرى وسعادة شقير باشا .

كذلك أقام الضباط المصريون حفلة شاى احتفاء بنا فى ناديهم لاقينا فيها من الحفاوة والاكرام ما أثلج صدورنا وجعلنا نشعر بما بين المصريين من روابط المودة المتينة .

وقد نظمت لنا رحلة من الخرطوم إلى أم درمان على زورق من زوارق الحكومة السودانية ، فزرنا هذه المدينة القديمة وشاهدنا فيها آثار الحرب التى خربت كثيراً من مبانيها ودورها . ومن أروع ما يشاهد فى هذه الرحلة خط التقاء النيلين ، الأبيض والأزرق ؛ ولون الماء فيهما هو سبب هذه التسمية . ويمتد هذا الخط واضحاً إلى أكثر من كيلو مترين قبل أن يتم امتزاج المياه ، وكانت هذه النزهة جميلة جداً .

وعدنا فى ٩ منه فبلغت القاهرة فى ١٦ منه ورفعت تقريراً عن الرحلة إلى الخديو .

الخطوة الثالثة فى اصلاح الازهر . وكذلك ثارت معارضة شديدة عند نظر قانون الأزهر الجديد رقم ١٠ لسنة ١٩١١ فى أيام ٦و٧و٩ أبريل الذى قامت بوضعه لجنة برياسة فتحى زغلول باشا وكيل الحقانية ، وكان أظهر الأعضاء المعارضين لبعض مواد هذا القانون اسماعيل أباظه باشا وعلى شعراوى باشا وفتح الله بركات بك .

وقد كان موضع الاعتراض هو المادة « ١١ » التى تقضى بأن الخديو له الحق فى رياسة مجلس الأزهر الأعلى عند الاقتضاء ، والمادة « ٢٣ » التى تقضى بأن يختار الخديو رئيس الأزهر من بين هيئة كبار العلماء .

وكانت حجة المعارضين للمادة « ١١ » أنها تنقص من حرية الأعضاء فى المناقشة كما أن فيها مضيعة لوقت الخديو فى نظر المسائل الجزئية والاشتغال بها عن المسائل العامة ، وكانت حجتهم فى معارضة المادة « ٢٣ » أنها لا تترك حرية اختيار الشيخ لهيئة كبار العلماء وهم أعرف بأنفسهم .

وقد انتهت المسألة باقرار هاتين المادتين بحكم الأغلبية .

تنفيذ قانون الأزهر الجديد : سبقت الاشارة إلى عرض قانون الأزهر الجديد رقم ١٠ لسنة ١٩١١ على مجلس شورى القوانين ، وقد صدر به الأمر الخديوى فى ١٢ أبريل .

وفى ٤ يوتيو عقد مجلس الأزهر الأعلى بحسب هذا النظام الجديد برياسة الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع وحضور الشيخ بكرى عاشور الصدفى المفتى والشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية وأحمد فتحى زغلول باشا وكيل الحقانية

وأحمد ذهني باشا ناظر مدرسة المهندسخانة وكنت عضواً فيه باعتباري مدير ديوان الأوقاف .

وقد سألني أحمد فتحي زغلول باشا عما إذا كان ديوان الأوقاف يسمح بتقديم ما تدعو إليه الحاجة من المال لتنفيذ النظام الجديد فأجبته بأن سمو الخديو قد أمر بوضع مبلغ ثلاثة آلاف جنيه تحت تصرف المجلس الأعلى للأزهر للانفاق منه حتى نهاية هذه السنة .

ثم قرر المجلس سريان القانون الجديد على جميع المعاهد إلا فيما يتعلق بالمنهاج ، فقرر ألا يسرى إلا على الطلبة الجدد من بدء العام القادم .

رأى الخديو وغورست فى المعارضة فى مجلس شورى القوانين . وقد كانت هذه المناوشات سبباً فى ازدياد نشاط المعارضة والحركة الديموقراطية العامة مما دعا إلى اهتمام الخديو بها ، فقد كان مسافراً للاسكندرية فى يوم ٢٦ أبريل وقابله للوداع أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية فألقى عليهم خطبة جاء فيها :

رأى الخديو فى المعارضة : « أتأسف أن بعض الأعضاء قد اشتغلوا بسفاسف الأمور والشخصيات التى جعلوها فى شكل عموميات ، أكثر من اشتغالهم بالأمور الهامة العائدة على البلاد بالخير .

« إننى هنا منذ سنة ١٨٩٢ ولم يحصل ولم أسمع أن واحداً من حضرات أعضاء المجلس أو الجمعية طلب لنفسه رتبة أو نيشاناً .

« والواقع أن كثيراً من أعضاء المجلس قد طالت خدمته فيه وأدوا خدمات جمة للحكومة والأمة ثم خرجوا منه ، وبعضهم توفى ، ولم ينالوا رتباً سامية .

« قلت : إننى منذ الثمانية وعشرين عاماً التى انقضت على المجلس لم أسمع أن واحداً من أعضائه طلب لنفسه رتبة أو نيشاناً ، ولكننى فى هذا العام سمعت أن بعضكم سعى للحصول على رتبة سامية وغضب على نيشان مطلوب له .

« بل سمعت أن هذا الشخص قال أمس على مسمع من كثيرين إنه قد طلب له نيشان ورفضه ؛ ولكن كلامه هذا ناقص ، وكنت أحب أن يكمله وأن يكون صاحب مبدأ صحيح فى رفض هذا النيشان وصاحب المبدأ يجب أن يتخذه أساساً فى حياته ، فلا يقبل الرتبة قبل ٢٤ شهراً ، ثم يرفض النيشان الآن ، لأنه نيشان لا رتبة سامية ! »

وقد تحـدث سموه يوم ١٣ مايو مع رئيس تحرير جريدة إيجبت فعاد لهـذا الموضوع قائلا إن هذه الحركة الصناعية لا تقلقه لأنه واثق من هدوء الشعب المصرى. وإن الدستور الذى تنشده الأمة هو أول من يسعى لتحقيقه لأنه يريحه من الأعباء المثقلة، ولذلك فهو يمهد له باصلاح الشئون الداخلية، وترقية مستوى الشعب وخبرته. وذكر أن الحرية أسيء استعمالها مما اضطر الحكومة لبعث قانون المطبوعات.

رأى غورست فى المعارضة: ولم يكن الخديو وحده هو الذى اهتم بالمعارضة، فان السير الدون غورست تحدث عنها فى تقريره السنوى الذى ظهر فى ١٠ مايو، فأشار إلى أن هناك روحاً عدائية ظاهرة فى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية لمشروعاته الاصلاحية وللسياسة الانجليزية عامة، وأن هذين المجلسين أصبحا آلتين فى يد الحزب الوطنى للتهييج والتحريض. واستشهد على ذلك بطلب المجلس والجمعية لحكومة دستورية تامة وحملاتهما المنكرة على الحكومة فيما يتعلق بالميزانية والسودان والعداوة والريبة اللتين ظهرتا فى مشروع قناة السويس إلى أن قال:

« فلا نظارة بطرس باشا ولا نظارة محمد سعيد باشا استطاعتا أن تتوليا قيادة المجلس حتى الآن، أو أن تنشأ حزباً قوياً للحكومة، مع أن رجالهما مشهود لهم عند الجمهور بأنهم من أعقل المصريين وأقدرهم، وكذلك البرنس حسين كامل باشا الذى قطع الأمل، وعدل عن السعى فى إدخال روح النظام والاعتدال إلى المجلس فى مداولاته؛ ولما استعفى من رياسته لم يكن من يقبل هذا المنصب الذى لا يعترف لمن فيه بالفضل، بل كان المصريون يرفضونه واحداً بعد واحد. »

ثم ذكر أن هذه الحالة تدعو للنظر فى اختيار أحدى طريقتين: طريقة حكم مصر بمعاونة نظار من الوطنيين؛ وطريقة السعى فى تنشيط المجالس النيابية، لأن الطريقتين أصبحتا متعارضتين، لا كما كان يحسب أنهما ستسيران معاً بالتعاون. وقد فضل الطريقة الأولى لأن النظار يختارون من أكفأ المصريين، على حين أن النواب لا ينوبون فى الحقيقة إلا عن فئة البكوات والباشوات الأغنياء، ولا يستطيعون مقاومة أى تحريض كاذب تصطنعه جماعات قليلة من ذوى الأغراض.

وختم تقريره بأن هناك كثيرين ينتقدون سياسته فى مصر من الانجليز أنفسهم، وأن هذا الانتقاد منشأه عدم تفهم المهمة الشاقة التى تؤديها السياسة الانجليزية فى مصر، وأنه إذا كان هناك فريق يعادى هذه السياسة فيها فليس من المستحسن أخذ الجميع بالشدة.

المؤتمر القبطي . سمعنا بفكرة عقد مؤتمر قبطي ، لبحث مطالب الأقباط وشكواهم قبل مقتل بطرس باشا ، وقد أخذ بعض أعيان الطائفة يعمل سراً لعقد هذا المؤتمر ، ويبث روح السخط بين الأقباط ويصور لهم أنهم مغبونون فى الوظائف والحقوق العامة ، وكانت صحيفتا الوطن ومصر تنفخان فى هذه الروح .

معارضة بطرس باشا لها : وقد قابلت بطرس باشا وتحادثت معه فى أمر هذه الحركة وعواقبها الخطيرة ، وتفريقها للأمة ، فطمأننى بأنه لا خوف منها ، وأنه لا يسمح باستفحالها . وقد كان بالفعل معارضاً لها حتى أرسل إنذاراً لجريدة الوطن بسبب هذه الحركة .

Ghali opposed

ولما حدثت حادثة اغتياله ، زادت الحركة قوة وبدأ الكثيرون من الأقباط يزيدون على الكتابة فى الصحف القبطية ، الشكوى إلى الصحافة الانجليزية .

كلمة الأستاذ واصف بطرس غالى عن العنصرين : ولذلك أخذ اسماعيل أباظه باشا فى تأليف لجنة للتوفيق بين الأقباط والمسلمين قبل استفحال الخطر الطائفى ، وكتبت جريدة الريفورم منوهة بهذا المجهود ، فكتب لها واصف غالى كلمة بتاريخ ٢٣ يناير ملخصها أن الوفاق تام بين العنصرين فلا يحتاج إلى لجان ولا مؤتمرات ، وأنه هو شخصياً قد تناسى الحملات التى وجهها بعض الكتاب فى الصحف للمرحوم والده ، لأنها لا تعبر عن رأى عقلاء الأمة .

وذكر فى رسالته أن الخديو قال له بعد مقتل والده : « كما أن الشىء الناصع لا تشوبه شائبة ، فان عمل المرحوم بطرس باشا مسجل فى التاريخ لا يمسه شىء . »

وأن شيخ الأزهر قال له فى اليوم التالى : « إن ذلك المسيحى عمل من الخير للمسلمين ما لم يقدر على عمله كثير منهم . »

وانتهى من كلمته بقوله : « فهلموا إذن يامعشر المسلمين والأقباط ، لنضم بعضنا إلى بعض كالبنيان المرصوص حتى لا يميز فى المستقبل بين مصرى ومصرى ، والعمل جميعاً باخلاص لما فيه خير البلاد . »

انعقاد المؤتمر ومطالبه : وعلى الرغم من جهود عقلاء المسلمين والأقباط فان فكرة عقد المؤتمر القبطى لم تضعف ، وتولى الدعوة إليه مطران أسيوط وجماعة من أعيان الوجه القبلى ، وحدد له يوم ٦ أبريل .

وقد تخوف القائمون بالفكرة من عقده فى أسيوط وخشوا من مسلميها أن يلحقوا بهم أذى ، وأرادوا عقده فى القاهرة وخصوصاً بعد أن قامت مشاجرة بين المسلمين والأقباط بالقرب من كنيسة أسيوط يوم ٤ أبريل . ثم عادوا فطلبوا الترخيص بعقده فى أسيوط ، وبعد أن تأكدت الحكومة من المحافظة على الأمن عند انعقاده رخصت بعقده .

وقد خطب فيه : توفيق دوس بك ومرقس حنا افندى وأخنوخ فانوس المحامى .

وتتلخص المطالب التى انتهى إليها فى طلب العطلة يوم الأحد بجانب الجمعة ، وأن تكون القاعدة للتوظف هى الكفاءة وحدها ، ووضع نظام لمجالس المديريات يكفل للأقباط تمتعهم بالتعليم ، حتى لا يقتصر التعليم على الدين الاسلامى وحده ، ووضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصرى فى المجالس النيابية .

المؤتمر المصرى ومباحثه . أحدث مؤتمر الأقباط ثغرة فى الأمة ، وتنافراً بين العنصرين وأخذت صحف الفريقين تتنابذ تنابذاً خطراً .

لذلك رأى جماعة من عقلاء الأمة تلافى هذه الحالة باجتماع مؤتمر مصرى ، يبحث فى شئون المصريين جميعاً بما فيها مطالب الأقباط باعتبارهم جزءاً من وحدة الأمة . ورأس هذه الحركة رياض باشا فنسيت الأمة أخطاءه السياسية والتفت قلوبها حوله .

وقد اجتمع المجلس لأول مرة يوم ٢٩ أبريل بواحة عين شمس بفندق « الهليوبوليس » ، وحضره نحو خمسة آلاف من جميع المديريات والطبقات .

وافتتحه رياض باشا بخطبة جاء فيها :

« دعوناكم وفيكم صفوة الكتاب والمفكرين لتتشاوروا فى بعض المسائل العمومية الشاغلة للرأى العام فى الحالة الحاضرة .

« ومن بين هذه المسائل مسألة ما كنا نود لها وجوداً وهى ما يسمونه بمطالب الأقباط ، لأن حالة البلاد لا تسمح بتقسيم المصالح بين أبنائها تبعاً لانقساماتهم الدينية .

« وسنعرض عليكم موضوعات أخرى أدبية واقتصادية لتقرروا فيها الوسائط التى تساعد على رقى حالة التعليم ونمو الثروة العمومية ، وإنى لا أشك فى أنكم ستحكمون فى مداولتكم ورغباتكم روح العدل والميل إلى تأييد الروابط الوطنية بينكم وبين سائر

إخواننا وأبنائنا من أبناء الديانات الأخرى ، إلا أن ذلك لا يمنعنى من أن أوصيكم بأن تراعوا فى مباحثاتكم وطلباتكم فوق روح العدل والانصاف ، روح التسامح والانعطاف ، الذى عرفت به ديانتنا السمحاء . »

ثم تلاه احمد لطفى السيد بك فألقى تقرير اللجنة التحضيرية للمؤتمر .

وعقدت الجلسة الثانية بعد الظهر فخطب فيها الدكتور « أباتا باشا » خطبة موضوعها « إن عناصر الجنس المصرى كلها من أصل واحد » .

وخطب بعده محمود أبو النصر فى موضوع « عطلة يوم الأحد » وبعده محمد حافظ رمضان بك فى « العوامل الاجتماعية للحركة القبطية » .

وفى ٣٠ أبريل عقدت الجلسة الثالثة وخطب فيها احمد عبد اللطيف بك المكباتى عن « الأقلية والمجالس النيابية » ثم الشيخ عبد العزيز جاويش فى « جعل الخزانة المصرية مصدراً للانفاق على جميع المرافق المصرية بالسواء » وابراهيم الهلباوى بك فى « إسناد الوظائف للأكفاء » .

وفى ٢ مايو انعقدت الجلستان الرابعة والخامسة وخطب محمد أبو شادى بك والشيخ على يوسف عن « التعليم فى مصر » وعلى الشمسى افندى فى « التعليم العملى » وابراهيم رمزى بك عن « الصناعة فى مصر » وعبد الخالق مدكور باشا عن « وسائل ترقية التجارة والصناعة » وعمر لطفى بك فى « التعاون المالى والنقابات الزراعية » .

وفى ٤ مايو عقد المؤتمر جلسته السادسة الأخيرة ، وكتب مذكرة عن المسألة القبطية تتلخص فى أن المؤتمر لا يرى إمكان قسمة الحقوق السياسية فى مصر بين طوائفها الدينية المختلفة ، وأنه ليس من حقوق أبناء أى طائفة دينية أخرى أن تطلب عطلة يوم الأحد أو غيره من الأيام ، وأن تظل العطلة الرسمية هى يوم الجمعة فقط . وأن قاعدة التعيين فى وظائف الحكومة هى الكفاءة من جميع وجوهها عملية وإدارية وأخلاقية معاً . وأنه لا يرى تعديل قانون الانتخاب بما يجعل لكل طائفة دينية مصرية دائرة انتخابية خاصة . وعدم الموافقة على إعطاء كل طائفة من طوائف الأمة المصرية ما تجبيه منها مجالس المديريات لتنفقه كما تشاء .

وقد وافق على معظم الاقتراحات التى عرضت عليه خاصة بحالة الأمة الاجتماعية والاقتصادية ، كانشاء بنك وطنى وعقد مؤتمر للتعليم وتأسيس النقابات الزراعية .

حديث غورست والخديو عن المؤتمرين . تحدث السير الدون غورست فى تقريره الذى ظهر يوم ١٠ مايو عن مسألة الخلاف بين المسلمين والأقباط مبتدئاً بجريمة مقتل بطرس باشا وقال « إنه يعتبر الجريمة سياسية وليست طائفية كما كان يعتقد عند وقوعها . »

ولكن مسلك الحزب الوطنى مع الوردانى جعل الأقباط يفهمون أن الجريمة طائفية وأدى ذلك إلى كثرة النقاش والجدل على صفحات الصحف والمنابذة بين الفريقين حتى اقتضى الأمر تنفيذ قانون المطبوعات وإنذار بعض الصحف مرة واثنتين كالوطن ومصر ؛ وحتى وقعت عدة حوادث بين الأقباط والمسلمين عولجت بمنتهى الحكمة من الحكومة .

ثم أشار إلى مسألة طلب الأقباط لتعليم الدين المسيحى فذكر أن « الأمر فى الواقع لم يكن يخلو من فرق فى المعاملة بين الأقباط والمسلمين » واستصوب إجابة الأقباط إلى ما يرومون على قدر الامكان من هذا القبيل .

ثم عرض لبقية مطالب الأقباط ولا سيما مسألة التوظف ، وذكر أنها ليست مبنية على أساس وطيد ثم استشهد بجدول لعدد الموظفين المسلمين والأقباط فى كل مصلحة ، واستدل منه على أن عدد الأقباط ورواتبهم يفوقان كثيراً نسبتهم العددية .

حديث الخديو عن المسألة القبطية : وقد تناول سمو الخديو هذه المسألة كذلك فى حديث له مع رئيس تحرير جريدة إيجبت يوم ١٣ مايو فأظهر ارتياحه لأعمال المؤتمر المصرى وما بدا فيه من الهدوء والروية ، ودعا الأقباط إلى البدء بمد يديهم لاخوانهم المسلمين لأنهم بدءوهم بالخصومة .

سفر الخديو للاستانة . عزم سمو الخديو على السفر للخارج فاصدر إرادته إلى رئيس النظار محمد سعيد باشا يوم ١٢ مايو بأن يكون قائمقام خديو مدة غيابه .

وقد أبحر من الاسكندرية يوم ١٥ منه إلى أراضيه بالضلمان وبقى بها حتى يوم ٢٩ منه ، حيث جاءتنا الأخبار بمبارحته لها إلى الاستانة فوصلها أول يونيو .

وقد بقى فى الاستانة مدة أسبوعين وسافر منها يوم ١٦ يونيو إلى قوله فوصلها يوم ١٧ منه فأقام بها يومين ثم غادرها إلى فينا .

وفى أول يوليو غادر النمسا إلى باريس وبقى بها حتى يوم ٢٠ يوليو .

حديث عباس مع مكاتب جريدة الفيجارو باريس : بينما كان عباس فى باريس نشرت جريدة الفيجارو فى عددها بتاريخ ٤ يوليو حديثاً معه عن شؤون مصر المادية والأدبية نلخصه فيما يأتى :

قال إن مصر تحملت فى السنوات الأخيرة أزمة مالية شديدة غير أنها ولله الحمد تخلصت منها بسبب خصوبة أراضيها وجهود مزارعيها .

وأما عن المسائل الأدبية فان البلاد تطورت تطوراً عظيماً وبعد أن كان المصرى لا يهتم بالتعليم فانه اليوم يجعله من أهم غاياته ؛ ولهذا فان المدارس تنشأ فى أنحاء البلاد وهى غاصة بالطلاب وأن البعثات العلمية إلى أوربا تزداد انتشاراً .

وأما عن التقدم المادى والأدبى فانى عند تجوالى فى داخلية البلاد أشعر بأن الأهالى صاروا أكثر تنوراً وانتباهاً عما كانوا عليه عند توليتى العرش فى سنة ١٨٩٢ .

ومن أهم النظم التى وجدت المجالس البلدية التى أعطت الأهالى بعض السلطة لادارة شؤونهم . ورغبة منهم فى نشر التعليم قررت زيادة الأموال خمسة فى المائة لذلك حتى أصبح الآن التعليم الأولى والابتدائى والزراعى والصناعى عاماً فى جميع أنحاء البلاد .

أما الحكومة فأخذت على عاتقها التعليم الثانوى والعالى .

أما عن نوع الحكم فى مصر فقال سموه إنه شخصياً ضد الاستبداد ولكنه يرى وجوب زيادة اشتراك الأمة مع الحكومة فى إدارة شؤون البلاد الآن حتى يتسنى لها الاستعداد للحكم النيابى لأن بلادنا غير بلاد أوربا .

وقال أيضاً : « وجد بين المصريين بعض المتطرفين الذين أفسدوا ثقة الحكومة فى رزانة الشعب بأن ألحوا بطلب الدستور وسخطوا على الحكومة لرفض طلباتهم وعدوها عدوة للأمة ، فاضطرت الحكومة لاصدار قوانين جديدة ضد الصحافة ، ولكن لم تطبق لأن الأمة لم تساير المتطرفين بل اتخذت طريق الحكمة والاعتدال . » ثم تكلم سموه عن المجالس النيابية فقال « إن العمل فيها سائر على نظام تام والجميع دائبون فى عملهم بجدّ وليس هناك ما يقال بأن الهدوء فى البلاد معناه ضعف فى وطنية الأمة فانها لم تكن أكثر قوة عما هى فى الوقت الحاضر .

« أما بالنسبة للأقباط الذين يظنون أنهم مظلومون بجانب المسلمين فقد قال سموه إنه رغم التجاء الأقباط فى مطالبهم إلى غير حاكمهم الشرعى فان عطفى عليهم ليس بأقل

من عطفى على المسلمين فى وقت ما كما هو شأنى مع كافة الرعايا المصريين على اختلاف دياناتهم وجنسياتهم . ثم أكد أن تسامح المسلمين سائد مع إخوانهم الأقباط .

وقد شكر المكاتب لسمو الخديو هذه المعلومات واستأذن فى الانصراف .

زيارته لايطاليا وحفاوة ملكها به : وفى ٢١ منه سافر إلى تورينو بايطاليا ومعه عمه البرنس فؤاد باشا بناء على دعوة ملكها لسموه .

وفى صباح اليوم التالى قصد قصر اكوينجى حيث كان الملك فى استقباله عند أسفل سلم القصر ورافقه إلى حجرة الجلوس التى كانت تنتظره جلالة الملكة فيها .

وفى المساء أقيمت لسموه مأدبة فخمة جلست فيها الملكة فى الصدر وعلى يمينها الخديو وعلى يسارها البرنس فؤاد وأمامها الملك والبرنسيس هيلانه وسعيد ذو الفقار باشا ، وأهدى الملك لسموه صورته فى إطار بديع ، وقلد سعيداً ذا الفقار باشا وسام تاج إيطاليا من الدرجة الأولى ، وأنعم بمثل هذا الوسام على رمزى طاهر باشا السرياور .

وفى اليوم التالى زار المعرض الايطالى .

ثم برح تورينو مساء إلى سويسرا يوم ٢٣ منه وقد بقى سموه فى أوربا حتى منتصف أغسطس وعاد إلى مصر فى ٣١ منه .

وفاة رياض باشا رئيس المؤتمر المصرى . توفى مساء يوم ١٧ يونيو مصطفى رياض باشا فى قصره بالاسكندرية فكان لخبر وفاته رنة حزن وأسف عند جميع المصريين ، وقد نقلت جثته يوم ١٨ منه من قصره إلى محطة الرمل ، فى قطار خاص مؤلف من ثلاث عربات وضعت الجثة فى إحداها ، وركب فى الثانية الأميران حسين كامل باشا وعمر طوسون باشا والقائمقام الخديوى (محمد سعيد باشا) إذ كان سموه بالاستانة ، وناظر الأشغال والمعارف . وركبت فى الثالثة أسرة الفقيد .

وقد سارت الجثة فى موكب رهيب حتى وضعت فى قطار خاص إلى مصر ، فبلغها حوالى التاسعة مساء ، فاستقبله فى محطتها على بك صديق وكيل المحافظة وكثير من أعيان المصريين وثلة من رجال البوليس .

ونقلت الجثة إلى حجرة الاستراحة محمولة على أيدى ٢١ بحاراً مصرياً ، وظلت بهذه الغرفة حتى الصباح .

وفى ١٩ منه ازدحمت محطة مصر بالأمراء والنظار والعلماء وكبار الموظفين

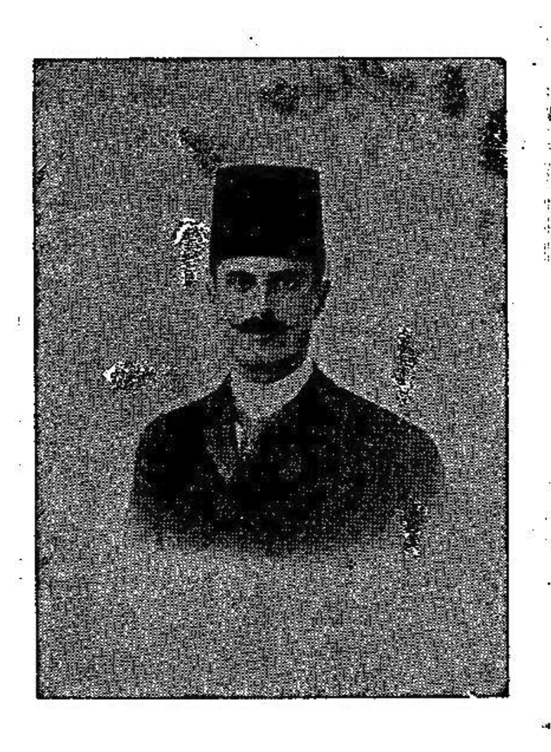
والأعيان الذين جاءوا لتشييع الفقيد، وانتشر البوليس فى الطرق التى يجتازها، ونكست الفنادق والأندية الأعلام حداداً عليه، وأغلقت الحكومة دواوينها ومصالحها كذلك.

وعند الساعة العاشرة نقلت الجثة من غرفة الاستراحة ملفوفة بالعلم المصرى، ومحمولة على أكف البحارة فوضعت فوق عربة مدفع من مدافع الجيش، وسار المشهد يتقدمه أرباب «الأشائر» فشيوخ المولوية فأورطة السوارى الثالثة وبأيدى بعض فرسانها المزاريق، وبأيدى الآخرين سيوفهم منكسة، فبطارية الطوبجية الثالثة منكسة بنادقها، فتلاميذ المدرسة الحربية، فأورطتا البيادة الثالثة والسابعة ومع كل منهما موسيقاها توقع نغمات الحزن، فكبار الضباط العسكريين الذين بالقاهرة من انجليز ومصريين. وتتلوهم جميعاً جثة الفقيد تحيط بها ثلة من فرسان البوليس، ووراءها العلماء ثم قائمقام الخديو والبرنسان حسين كامل باشا وعمر طوسون باشا وغيرهم.

وصلى على الفقيد فى جامع قيسون، ثم دفن فى الامام الشافعى.



البرنس حسين كامل باشا



البرنس عمر طوسون باشا

وفى مساء يوم ٢٨ يوليو أقيمت حفلة تأبين للفقيد العظيم فى مدفنه، حيث أقيم سرادق ضم عظماء مصر وعلماءها، وكنت أحد الحاضرين بهذه الحفلة.

وقد أبن الفقيد عدد كبير من عظماء مصر وأدبائها منهم محمود فهمى باشا رئيس

الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين واحمد زكى باشا ومحمد حافظ رمضان بك وحافظ ابراهيم بك والشيخ محمد بخيت وسواهم .

وظلت الصحف تنشر الفصول فى مآثر الفقيد وتاريخه ، والقصائد فى رثائه .

وفاة غورست وتعيين كتشنر . ساءت صحة السير الدون غورست المعتمد البريطانى فى مصر فقصد إلى لندن يوم ١١ أبريل من هذا العام .

وفى يوم ١٢ يوليو وردت الأخبار البرقية منبئة بوفاته . وقد احتفل هنا بالصلاة على روحه فى الكنيسة الانجليزية ببولاق وحضر هذا الاحتفال احمد حشمت باشا القائم بأعمال نظارة الخارجية المصرية ، بصفته نائباً عن الحكومة المصرية .

تعيين اللورد كتشنر : وفى ١٤ يوليو قرأنا فى البرقيات أن لورد كتشنر عين خلفاً للسير الدون غورست .

وقد كان تعيين كتشنر مثاراً للقلق فى دوائر السراى لأنه رجل عسكرى معروف بالشدة من جهة ، ثم هو معروف بعدائه للخديو من جهة أخرى منذ حادثة الحدود ، فارتقبنا أن يكون تعيينه بدء سياسة جديدة غير سياسة الوفاق التى سار عليها السير الدون غورست ، وتوقعنا أن تعود المصادمات بين المعتمد الانجليزى والخديو .

اتجاه السياسة الجديدة . ولم تلبث الصحف الانجليزية أن أيدت ما توقعناه . فانه لم يكد يصل إلى مصر يوم ٢٧ سبتمبر حتى كتبت جريدة المورننج بوست تقول :

« إن اللورد كتشنر قد عين فى هذا المنصب لأنه من أعظم الذين وضعوا أساس مركزنا فى مصر ، واشتغل فى عمل عظماء رجال الادارة الذين كانوا قبله فيها .

« ولكن كانت النتيجة السقوط فى هاوية من الارتباك والتشويش بسبب سياسة السير الدون غورست ، الذى كان قد أرسل لاتباع سياسة اعترف هو فى تقريره الأخير بخطئها . فمهمة اللورد كتشنر أن يقلل هذا الارتباك ؛ ويعيد النظام ، وأن يعود للارهاب مع نشر التمدن ، وإيجاد حكومة جيدة . »

وكتبت جريدة الديلى جرافيك عن صعوبة مهمة اللورد كتشنر تقول :

« إن هذا الشعب ساخط على الدوام وجاحد ومرتكن على ما يعتبره حقاً له ، وهو شعب حرر من رق العبودية ولكنه يعادى المصالح الانجليزية .

« والذى يجب أن يعرفه المصريون أنه مهما كانت الظروف والأحوال فانه لا يمكن الرضا عن أمانيهم بالنسبة لمصالحنا العديدة التى ألجأتنا إليها حالة وجودنا فى مصر ثلاثين سنة .

« وربما يمكن التفاهم حينما يدرك المصريون الحدود الواجبة فى تدبير آمالهم السياسية ، وإن اللورد كتشنر حائز . لكل الصفات اللازمة لهذا الحل » .

وكتبت صحف انجليزية أخرى مقالات لا تخرج عن هذا المعنى .

ولقد أخذت سياسة كتشنر تتضح بعد قدومه مباشرة فى اهتمامه بأبسط المسائل وتدخله فى كل كبيرة وصغيرة ، وقيامه برحلات فى الأقاليم والاتصال بالفلاحين مباشرة ، مما سنأتى على ذكره فيما بعد .

الانعام علىّ بنيشان ايطالى . ورد لى خطاب بتاريخ ٢٩ أغسطس من صاحب السعادة ناظر الخارجية حسين رشدى باشا يعرفني فيه بأن حضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا أنعم علىّ بنيشان « كورون دى إيتالى » من الدرجة الثانية وأن الجناب الخديوى أذن لى بقبول هذا النيشان .

وفى ٢٨ اكتوبر ورد لى من سعادته أيضاً خطاب ومعه النيشان وكذلك خطاب آخر من ناظر خارجية إيطاليا بالتهنئة فرددت عليه بالشكر على هذا الانعام .

أعمالى فى ديوان الاوقاف .

الأوقاف الأهلية : كانت الأعمال الخاصة بالأوقاف الأهلية التى يديرها الديوان منقسمة إلى قسمين منفصلين : أحدهما إدارى يتبع قسم الأوقاف الأهلية والآخر حسابى يتبع قسم الحسابات . فجمعت العملين فى قسم الأوقاف الأهلية تسهيلا للعمل وإنجازه ومنعاً للمشادة والمجادلة التى كانت تقع أحياناً بين القسمين القائمين بالعمل .

وقد تم فى هذا القسم وضع قاعدة لصرف مرتبات شهرية للمستحقين فى الأوقاف الأهلية على نسبة إيرادهم سداً لحاجتهم الوقتية دون انتظار لآخر السنة فكان فى ذلك راحتهم وتوفر على الديوان كثرة ترددهم وإلحاحهم فى الصرف على الحساب طول أوقات السنة .

قسم القضايا : كانت قد شكلت لجنة عليا لفحص أعمال قسم القضايا ووضع النظام اللازم له ؛ ولكن نظراً لما كان متراكما فى القسم وفى فروعه من القضايا ، اشتغل القسم بتصفية العمل القديم مع الأخذ بأسباب التنظيم على التدريج . وقد ضم إليه قسم المباحث

الحقوقية وقيم العقود لما بين عمليهما وعمل القسم من صلة وتجانس ، وعدلت طريقة تكليف المحامين فى الجهات بالقضايا واستبدلت بها تعيين عدد من المندوبين القضائيين فى المأموريات ليتفرغوا لهذا العمل وتكسبهم الصلة المستمرة بأعمال المصلحة علماً أوسع بمشاكله وأسبابها وتفاصيل موضوعات القضايا أكثر من سواهم فى الخارج .

قلم التحصيلات : وأنشأت فى قسم الايرادات قلماً جديداً باسم قلم التحصيلات وذلك لما تبينته من حاجة الديوان الشديدة لمراقبة سير التحصيل فى الفروع مراقبة فعلية ومن عمل هذا القلم تمهيد طريق السداد بالحسنى للمتأخرين دون الالتجاء لدوائر القضاء إلا فى الأحوال التى لا تنجح فيها وسائل التراضى .

الاحتياطى للمعاشات : وقد كان المتحصل من احتياطى المعاشات ومكافآت المستخدمين يضم إلى ميزانية إيرادات الديوان مقابل احتساب ما يصرف من ذلك فى ميزانية المصروفات العمومية فرأيت أن الاستمرار على هذه الطريقة قد يحمل ميزانية المصروفات ما يؤثر فى وجوه الصرف الأخرى . فعمل حساب هذا المتوفر واستبعد من الميزانية العمومية وفتح له حساب خاص واشترى به من أطيان الأوقاف بجهة ببا ما يستثمر لمصلحة الميزانية الخصوصية للمعاشات والمكافآت .

الاشهار فى المزاد العلنى : وقد كان الاشهار فى المزاد يجرى بغير تحديد لمواعيد مما يجعل للناس سبيلا دائماً للمنافسة والانتقام فينجم عن ذلك الضرر لهم وللديوان ؛ إذ كان يترتب على هذا تأخير أعماله ، فقررنا تعديل بعض أحكام لائحة التأجيرات لتقديم مواعيد البدء فى الاشهار وتحديد عدد الجلسات ومواعيدها ، ووضعت الشروط اللازمة لقبول العطاءات بكيفية يضمن معها استقامة العمل وإنجازه فى الأوقات المناسبة حتى يجد الديوان الوقت الكافى لتحرير العقود النهائية مع من يرسو عليهم المزاد وتحقيق الضمانات التى يقدمونها .

تعديل مواعيد الأقساط : ولقد وجدنا الحاجة ماسة لتعديل مواعيد سداد أقساط الايجارات بما يتفق مع الوضع الجغرافى لكل منطقة فى القطر وأوان المحصولات فيها . فكان من نتائج هذا التعديل زيادة ضمان حقوق الديوان .

تحديد مساحة الصيق : ووضعنا كذلك نظاماً نافعاً لتحديد مساحة الأطيان المنزرعة صيفاً ، وثقنا معه من زوال كل المشاكل التى كانت تقوم فى هذا الشأن .

تطهير المساقى والمصارف : وقد لاحظت أن المستأجرين لا يوجهون العناية الواجبة لحفظ الأراضى فى حالة مرضية فيهملون تطهير المساقى والمصارف الفرعية : فعالجت هذه الحالة بأن قررت قيام الديوان نفسه بهذا العمل على حساب المستأجرين محافظة على خصوبة الأراضى .

المستوصف العباسى : وقد فتح فى أوائل سنة ١٩١١ المستوصف العباسى لمعالجة فقراء المصريين بعد أن قام الديوان بالانفاق على إنشائه ثم قرر مساعدته باعانة سنوية عندما كانت إدارته فى يد جمعية المستشفيات والعيادات المجانية المصرية .

ولما لم توفق الجمعية المذكورة لوجود المساعدة من أهل البر بما يضمن لها نفقات هذا المستوصف كان لابد لديوان الأوقاف من أن يقوم بالانفاق عليه . فرأينا أن نضمه لادارة الديوان فى سنة ١٩١٢ ونتكفل بكل نفقاته التى أعانه على الاقتصاد فيها تبرع حضرات الأطباء الأفاضل المشتغلين به من مصريين وأوربيين مجاناً خدمة منهم للانسانية . وأصبح هذا المستشفى فى مقدمة المستوصفات فى معالجة مرضى الفقراء .

مسجد مصر الجديدة : فى ٤ يونيو دعيت لحضور الاحتفال بافتتاح مسجد مصر الجديدة الذى أسسته شركة واحة عين شمس برياسة البرنس حسين كامل باشا ، وكان فى المدعوين احمد حشمت باشا ناظر المعارف واسماعيل سرى باشا ناظر الأشغال وقاضى مصر وشيخ الجامع الأزهر والمفتى ومستشار الداخلية وابراهيم فؤاد باشا ويعقوب أرتين باشا .

وابتدأت الحفلة بتلاوة آى القرآن ، ثم وقف بوغوص نوبار باشا فألقى كلمة الشركة بالفرنسية منوهاً فيها بمعاونة الجناب الخديوى للشركة فى مشروعها شاكراً فيها لسموه إنابة سمو البرنس حسين فى حفلة الافتتاح ثم عرض لأعمال الشركة فى بناء مساكن للعمال وإنشاء ترام سريع ، وتدرج إلى إنشاء هذا المسجد للمسلمين وهم غالبية سكان مصر الجديدة .

ثم قمت فألقيت كلمة بدأتها بشكر الشركة على اهتمامها بتأسيس هذا المسجد على نسق جميل يناسب جمال أبنيتها ، ورجوت أن يعقب ذلك الاهتمام اهتمام مثله بتأسيس معاهد علمية وصناعية ، حتى تماثل مصر الجديدة عين شمس القديمة فى شهرتها ، « فيطلع عليها العرفان شمسه ، ويعيد التاريخ نفسه . »

ثم نهض البرنس حسين كامل فافتتح المسجد بكلمة سمعها الحاضرون وقوفاً ، ثم وقع سموه على محضر فتح المسجد ثم أديرت المرطبات .

وقد صلينا الجمعة فى المسجد الجديد .

أول تقرير عن أعمال الديوان : وفى نهاية العام قدمت للجناب العالى تقريراً ضافياً عن ديوان الأوقاف قالت عنه الصحف إنه الأول من نوعه بالنسبة لهذا الديوان . وقد ذكرت فيه تاريخ ديوان الأوقاف وأسماء الذين تولوا إدارته من النظار والمديرين وتواريخ تعيينهم ونهايته . ثم شرحت فصول الايرادات وأبواب المصروفات بتوسع ودقة فى كل ناحية من نواحيه ، وقد كتبت هذا التقرير باللغتين العربية والفرنسية ووزعته على الصحف وممثلى الدول وكبار الجاليات والموظفين الأجانب ليتبين الاصلاح الذى وجد فى الديوان وما كان فيه من الداء الذى وصفت له الدواء بصراحة تامة . ولما تقابلت مع الجناب الخديوى بعدها أبدى لى سروره من أعمالى وثناءه على هذا التقرير الجامع الدقيق . ومما جاء فيه :

مولاى

« إنى أشهد لمن سبقنى من المديرين فى الأزمان الأخيرة بجميل الأثر فى إدخال كثير من النظام على هذه المصلحة . غير أن ما وضعوه لم ينتشر بين الجمهور أمره من وقت لآخر فاستلمت زمام هذا الديوان وأنا على علم بما يدور على الألسنة وما يتقوَّله عليه بعض الناس بوجوه مختلفة ربما كان لهم فيها العذر لعدم وقوفهم على جلية الأمر ولأنهم يتخيلون فى شأنه بعض الغموض فى حالتيه المالية والادارية .

« فكان أول ما انصرف اليه همى أن أسعى جهدى فى كشف الأحوال على وجه يزيل الشك ويجعل الناقد على بينة من أمره فابتدأت برفع مذكرة عن ميزانية الديوان لعامنا الحاضر يتبين منها أن الحالة المالية موطدة الدعائم على أحسن نظام فضلا عن وجود مبلغ من النقود يربو على الثلثمائة ألف جنيه فى الخزينة .

« وأنا أرفع الآن هذا التقرير الادارى متكفلا بشرح نظام الديوان وتوضيح إدارته وأنوِّه فيه بكل صراحة عن مواضع النقص الذى يجب سده وما ينبغى أن يبذل من المساعى فى سبيل الاصلاح المطلوب له وما أمكن لى فى هذه المدة القصيرة من سبل البداية فى هذا الطريق . وقد أعددته للنشر بعد رفعه الى مقامكم العالى فاتحة لأمثاله فى الأعوام القادمة إن شاء الله .

مولای

« هذا منتهى ما وصلت اليه قدرة العبد الضعيف من الاحاطة بأعمال ديوان الأوقاف وبسط الكلام فى توضيحها بعد أن بينت فى كل قسم من أقسام هذا التقرير وجوه الآراء والأفكار وما تسنى القيام به من تعديل أو تحوير يؤدى إلى حسن الادارة ودقة النظام ، وأشرت فى مواضعه إلى ما انعقدت العزيمة عليه من متابعة السير فى تنسيق الوضع وتوفيق العمل على قدر ما هدانى اليه البحث فى مدة هذا العام الأول .

« ولست أدعى أنى أحطت بكل وجوه البحث والفحص فى هذا الزمن القليل ولكننى على رجاء بأن أتلافى فى الأعوام المقبلة مافاتنى فى هذا العام إن شاء الله . ولا أزعم أنى بلغت منتهى الصواب فى علاج ما عالجته من الأعمال وإنما يمكننى الجزم بأنى بذلت قصارى المجهود . فان كنت أصبت فهو بعض ما أطالب به نفسى فى حسن الخدمة وأداء الواجب ، وإن كنت قصرت فما هو عن إهمال أو توان . والله يعلم أنى ما أوردت فى عملى ولا أصدرت إلا والاخلاص رائدى وابتغاء وجه المصلحة العامة قائدى . ولذلك رأيت من المصلحة أن أنشره على الملأ بعد عرضه على سدتكم السنية ليتناوب الامعان فيه أهل المعرفة والنظر فأتقبل منهم بالقبول الحسن والشكر الواجب ما يعن لهم من الرأى السديد والفكر الصائب مما خفى علىّ أمره وقصرت قدرتى عن بلوغه . فالنصح مقبول والحق متبع ؛ وما دامت النية خالصة فالناس فى خدمة المصلحة سواء والمعول عليه فى إدارة الأمور أن يسترشد فيها برأى أهل الرشد والهدى وإن عز ذلك على أهل الغرض والهوى .

والله يطيل بقاء مولانا المليك مصدراً لكل خير يفيض على أمته ويهدينا سواء السبيل فى وجوه خدمتها وخدمته آمين . »

مصر فى يوم الأحد ١١ مايو سنة ١٩١١

العبد الخاضع
مدير الأوقاف
شفيق

أكبر أنجال السلطان رشاد فى مصر لتحية ملك انجلترا :

وصوله للاسكندرية : فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم ١٩ نوفمبر رؤيت الباخرة (عثمانية) التى تقل حضرة صاحب الدولة والنجابة أحمد ضياء الدين افندى ومن معه ، وما ظهرت فى مياه الثغر حتى خرجت زوارق كثيرة براكبها إلى البوغاز لاستقبال الزائر العظيم ، وفى الساعة الثالثة دخلت الباخرة الميناء ، وكانت الزوارق تحيطها عن بعد ، والمستقبلون يهتفون هتاف الترحيب والدعاء للسلطان ونجله ، وفى الساعة الرابعة وصل الخديو على زورقه الخاص واعتلى الباخرة ، فاستقبله ضياء الدين افندى وقدم لسموه رجال حاشيته ، وشكره والأمة المصرية وحكومتها لهذه العواطف الكريمة . وكان من المستقبلين أيضاً كامل باشا الصدر الأعظم الأسبق ، وبعدما هنأه الجناب العالى واستراح قليلا نزل هو واحمد ضياء الدين افندى وحاشيته ومعهما كامل باشا الصدر الأسبق فى الزورق إلى سراى رأس التين ، مارين بين صفوف زوارق المستقبلين من جماهير الأهلين الذين والوا الهتاف حين مرور الزورق ، وعند وصوله إلى رصيف السراى استقبلهم النظار ورجال المعية السنية وفرقة من الجنود المصرية وأخرى انجليزية ، وصدحت الموسيقى الخديوية ، وأطلقت المدافع إجلالا وترحيباً ، وصعدوا جميعاً إلى السراى وتناولوا طعام العشاء ، وبعد ذلك استقل عباس مع ضيوفه القطار إلى سراى المنتزه لتمضية الليل .

سفر الخديو والوفد الشاهانى إلى بورسعيد : وفى صبيحة يوم ٢٠ منه تنزه أحمد ضياء الدين افندى برفقة الخديو وشاهد جميع محتويات هذه السراى وأعجب بها ، وبعد تناول طعام الغداء استقلا مع حاشيتهما القطار الخاص من المنتزه قاصدين بورسعيد ؛ وكانت المحطات على طول الخط مزينة بالأعلام ، والجموع محتشدة والهتاف متواصل ، حتى وصل القطار إلى بورسعيد فى الساعة الرابعة مساء . وكان فى استقبالهما البرنس محمد على باشا وجناب اللورد كتشنر والسير رجينلد ونجت سردار الجيش وحاكم السودان والسير جون مكسويل قائد الحامية الانجليزية ومحمد محمود سليمان بك محافظ القنال والحكمدار وكثيرون غيرهم من كبار الموظفين والوجوه والأعيان ، وكان فى المحطة بلوكان أحدهما بريطانى والآخر مصرى ، فحييا سموهما ، وصدحت الموسيقى بالنشيدين العثمانى والمصرى ، وأطلق ٢١ مدفعاً ؛ وقد صافح سمو الخديو

المستقبلين وقدم كثيرين منهم إلى نجل السلطان ثم نزل فى رفاص بخارى إلى يخت المحروسة يصحبه الوفد الشاهانى ودولة البرنس محمد على باشا ومحمد سعيد باشا رئيس النظار وحسين رشدى باشا ناظر الخارجية .



(١) ضياء الدين افندى (٢) الخديو (٣) محمد سعيد باشا رئيس النظار (٤) حسين رشدى باشا ناظر الخارجية (٥) جنانى بك مدير تشريفات الباب العالى (٦) محمد صادق باشا ياور أول خديوى (٧) احمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية (٨) احمد بك ياور سلطانى (٩) عارف باشا بالديوان التركى (١٠) محمد عزت باشا رئيس ديوان تركى خديوى ومهمندار ضياء الدين افندى (١١) طاهر رمزى سرياور خديوى (١٢) رشيد بك وكيل القبوكتخدائية المصرية بالاستانة (١٣) عونى بك سكرتير الأمير (١٤) ثابت بك أثوابجى باشى السلطان .

وتناولوا طعام العشاء على المائدة الخديوية وقضى عباس وضيفه الكريم الليلة فى المحروسة .

وصول ملك انجلترا وملكتها إلى بور سعيد : فى الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٠ منه لاحت « مدينة » فى عرض البحر بين المدرعات التى تخفرها ، ولما وصلت الميناء تشرف اللورد كتشنر بمقابلة جلالتهما .

استقبالها : وفى صباح ٢١ منه أعلن تشريف جلالة الملك والملكة رسميا ؛ فأطلقت المدافع واصطفت الجنود المصرية والانجليزية لأخذ السلام وعزفت الموسيقى .

وفى الساعة العاشرة والنصف نزل الخديو وضياء الدين افندى وجنانى افندى مدير تشريفات الباب العالى والبرنس محمد على باشا ومحمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا

وسعيد ذو الفقار باشا السرتشريفاتى ورمزى طاهر باشا السرياور ووطسن باشا الياور الخديوى وجميعهم بالملابس العسكرية فى زورق بخارى وصعدوا إلى الباخرة « مدينة » فحيتهم موسيقاها بالسلام الخديوى أولا ، وبالسلام السلطانى ثانياً ، وبعد التعارف أبلغ ضياء الدين افندى إلى جلالة الملك تحية جلالة والده السلطان ، ثم قدم له مكتوباً رقيقاً منه .

زيارة الملك للخديو وللأمير ضياء الدين افندى : بعد أن تمت المقابلات بكبار الانجليز وقناصل الدول برح جلالة الملك يخته قاصداً المحروسة . فأدت البحارة السلام وصدحت الموسيقى بالنشيد الملكى . وكان فى استقباله الخديو وضياء الدين افندى والبرنس محمد على باشا وكبار الحاشية ، فصافح الخديو وضياء الدين افندى ، ثم جلسوا فى بهو الاستقبال وتبادلوا الحديث برهة من الزمن ، وبعد ذلك عاد الملك بزورقه الى يخته .

وفى ظهر هذا اليوم تناول طعام الغداء مع الملك والملكة الخديو والأمير وجنانى بك والبرنس محمد على ورئيس النظار وناظر الخارجية وكبار الحاشية وكتشنر وونجت ومكسويل وكذلك المستشاران للمالية والداخلية وقناصل الدول . وبعد تناول الطعام والقهوة دار الحديث بصفة ودية بين الملك والملكة وضيوفهما ، وقد اختلى الملك مع كامل باشا ، ثم ودع جلالتهما الجميع ، ورجع الخديو وضياء الدين افندى ومن معهما إلى المحروسة .

عود الخديو وضيوفه إلى القاهرة : بعد تناول طعام العشاء يوم ٢١ منه بارح الجميع بورسعيد على القطار الخاص بصفة غير رسمية الساعة ١١ مساء فوصلوا إلى سراى القبة فى صباح اليوم التالى ، وزيادة فى الحفاوة بضياء الدين افندى لم يشأ عباس أن يجعل إقامة دولتـه فى الأيام القصيرة التى يقضيها بعيداً عنه ، فخصص له جناحاً فى سراى القبة مزيناً بالرياش الثمينة الفخمة يرافقه ثابت بك أثوابجى باشى السلطان ، وقد اهتمت دولة الوالدة بتنظيم غرفة نومه وكان ذلك بوجود محمد عزت باشا وزميله محسن بك فوزى . وقد علمت من الأخير أن الفراش كان فى غاية الأبهة وأن الغطاء كان مشغولا بالقصب الحرّ محلى باللؤلؤ ، وقيل إن هذا الغطاء كان لسمو الوالدة فى عرسها .

سفر جلالة الملك : فى فجر الأربعاء ٢٢ منه تحرك اليخت الملكى ليجتاز القنال تتقدمه وتتبعه سفن الأسطول المسافرة فى حراسته وأطلقت المدافع عند حركة اليخت .

الانعام بنيشان على الأمير : وفى الساعة الخامسة مساء منه توجه جناب اللورد كتشنر إلى سراى القبة وقلد دولة ضياء الدين افندى نيشان فكتوريا من الدرجة الأولى ، المهدى اليه من جلالة الملك .

زيارات للأمير : فى ٢٣ منه توجه الأمير والخديو وحاشيتهما إلى الأهرام لمشاهدة الآثار وتناول طعام الغداء فى الكشك الخصوصى ، وفى مساء هذا اليوم أقام له عباس مأدبة الوداع فى سراى عابدين حضرها بعض أفراد العائلة الخديوية وكامل باشا واللورد كتشنر والنظار ونائب القومسير العثمانى وكبار موظفى المعية وغيرهم .

وفى ٢٤ منه زار سموه برفقة المهمندار مساجد آل البيت الشهيرة وجامع محمد علي والرفاعى والسلطان حسن ودار الكتب ودار الآثار العربية ودار الآثار المصرية .

وفى نفس هذا اليوم أقامت صاحبة الدولة والعصمة والدة الخديو مأدبة فى سرايها بقصر الدوبارة إكراما لسمو الأمير ومن معه .

سفر الخديو والأمير للاسكندرية : وفى يوم ٢٥ منه بعد الظهر ركب سمو الأمير والخديو وحاشيتهما القطار الخصوصى إلى الاسكندرية فوصلها الساعة ٥ مساء ثم نزل الجميع إلى يخت المحروسة .

سفر الوفد الشاهانى للاستانة : وفى فجر ٢٦ منه أبحرت المحروسة بالوفد العثمانى بعد أن ودع عباس ضياء الدين افندى وحاشيته ، وسافر بمعية الأمير من قبل الجناب العالى حضرات محمد عزت باشا ومحمود بك صادق من رجال المعية ورشيد بك من موظفى الخاصة الخديوية وعازف بك وكيل الديوان التركى الخديوى .

إهداء السلطان صورته لعباس : كان لما لقيه صاحب الدولة ضياء الدين افندى من حفاوة الخديو واهتمامه بتوفير وسائل راحته وسروره أثر عظيم فى نفس السلطان محمد الخامس ، لذلك أراد أن يعرب عما كان لصنيع مليك مصر مع أكبر أنجاله من حسن الوقع وجميل الأثر لدى جلالته فتفضل باهداء صورته الفوتوغرافية لسموه ، وقد ازدانت هذه الصورة الكريمة باسم جلالته مرقوماً بالألماس على الطراز الكوفى الجميل وهى موضوعة فى إطار بديع الصنع ويعلوه التاج الشاهانى من الألماس والياقوت .

أثر الهدية فى نفس عباس : قد قابل الخديو هذه العلامة الأبوية بما يليق بمقام

جلالة المتبوع من الاجلال والاحترام ورفع لسدته آيات الشكران على هذه العواطف الكبرى وتلك الرعاية العلية العظمى .

وأذكر أن ثابت بك أثوابجى باشى السلطان قام بمساع لزواج ضياء الدين افندى من إحدى كريمات الخديو ولكنها لم تنجح لوجود ذرية من محظية له .

وأذكر أيضا أنى لما تشرفت بمقابلة السلطان رشاد عقب تأليف صدارة الغازى مختار باشا الائتلافية تبادلنا الحديث أولا عن عباس فأظهر محبته له وسأل عن صحته . ثم انتقلنا الى الكلام عن تأليف الصدارة الجديدة فسألنى السلطان عن رأيى وما يقوله المصريون فيها ، فهنأته وقلت إننا نحن المصريين مسرورون من تشكيلها لأنها تضم اليها نخبة من الصدور الأقدمين ومن بينهم كامل باشا وإننا نسأل المولى التوفيق لهذه الصدارة فى خدمة البلاد ، قال جلالتـه : « أنا أعلم أن المصريين مخلصون لنا » وبعـدها نطق بالآية الآتية نطقاً تركياً : « إنما المؤمنون إخوة » وأخيراً التفت إلى ثابت بك الذى كان واقفاً بجانبه وقال: « ما رأيك أنت يا ثابت بك؟ » فأكثر من المـديح والثناء فى حكمة الخليفة فى هذا الاختيار .

فظهر لى أن السلطان رشاد يعتمد على أراء ثابت بك حتى فى المسائل السياسية !